كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول ومن قرا ان لن تقوّل وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله
صفة لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم
بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في
بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك
رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم
ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس
طالب متعرف قال   مسسنا من الاباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه
باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس
اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب
الى معناه لقيل شدادا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب
راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع
ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا
راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في
خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث
وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر   وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق
اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت
قوله وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث
هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية
من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد
حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث
هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله
باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان
او توفيق منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف
الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين
فيه او ارادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي
مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا
في طرائق مختلفة كقوله   كما عسل الطريق الثعلب   او كانت طرائقنا طرائق
قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه
والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع
والتفرق في الارض وهربا حال اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها